تحولات الموضوع والمنهج في الدراسات الثقافية، ومساهمتها في مجال الإعلام والاتصال

قدي عبد الرحمان[1]

Subject and method transformations in cultural studies, and their contribution to the field of information and communication

تاريخ الاستلام: 2020/07/19 تاريخ القبول: 2020/08/01 تاريخ النشر: 2020/09/15

ملخص:

يستعرض هذا المقال أهم التحولات التي شهدتها الدراسات الثقافية كتخصص يشكّل جسرا بين العديد من التخصصات، خصوصا في موضوعها ومنهجها، وذلك بالتطرق لمختلف المراحل التاريخية الخاصة بتأسيس هذا التخصّص وانتشاره في الفضاءات الأكاديمية، ثم التعمّق في تحليل علاقته المميّزة بعلوم الإعلام والاتصال. واعتمادا على الوصف العلمي، تم التطرق إلى نشأة الدراسات الثقافية كتخصص يهتم بتحليل مواضيع الثقافات باختلاف أنواعها، وتستخدم فيه العديد من المناهج الأكاديمية، إضافة إلى انطلاقه من بريطانيا بسبب ظروف اجتماعية واقتصادية مضطربة ثم انتشاره عالميا. ونظرا لذلك الانتشار ظهرت مدارس متمايزة من الدراسات الثقافية أبرزها المدرسة الأنجلوساكسونية التي انتمت لها عدة دول أبرزها بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، والمدرسة الفرانكوفونية ذات الظهور المتأخر التي كانت فرنسا ممثلتها البارزة، مع ذكر أهم الاختلافات بين المدرستين. كما تمت مناقشة إشكالية حدود علاقة الدراسات الثقافية مع التخصصية، والوصول إلى نتيجة أن سمة التخصصية التي أصبحت تتميز بها منحصرة فقط في الميدان الأكاديمي ولا تعني وصوله لمرحلة اعتباره علما قائما بذاته. وقد خصص جزء من المقال إلى التفصيل في بروز موضوع الدراسات الثقافية ومناهجها، ثم تطورهما زمنيا. لنستفيض بعد ذلك في تحديد علاقة علوم الإعلام والاتصال بالدراسات الثقافية، ومساهمة هذه الأخيرة في تطوّر أبحاث التلقي الإعلامي منذ ثمانينيات القرن الماضي، لتتضّح مساهمة الدراسات الثقافية في لفت الانتباه بشكل أكبر نحو مواضيع التلقي التلفزيوني، وإدراج مناهج جديدة في الدراسات الإعلامية والاتصالية لم تكن تستخدم بها.

الكلمات المفتاحية: التحولات، الموضوع، المنهج، الدراسات الثقافية، علوم الإعلام والاتصال

Abstract:

This article reviews the most important transformations that cultural studies have undergone as a specialty that forms a bridge between many specialties, especially in its subject and method, by addressing the various historical stages of the establishment of this specialty and its spread in academic spaces, and then delving into an analysis of its distinguished relationship with information and communication sciences. And based on the scientific description, the emergence of cultural studies as a specialization concerned with analyzing the topics of cultures of all types, and many academic methods are used in it, in addition to its launch from Britain

1 **المؤلف المرسل:** قدي عبد الرحمان، جامعة الجزائر 3، abderrahmanekeddi@univ-alger3.dz

due to turbulent social and economic conditions, and then its global spread. Due to this spread, distinct schools of cultural studies emerged, most notably the Anglo-Saxon school, to which several countries belonged, most notably Britain and the United States of America, and the late-emergence Francophone school, in which France was its prominent representative, with mentioning the most important differences between the two schools. The problem of the limits of the relationship of cultural studies with specialization was also discussed, and the conclusion was reached that the feature of specialization that has become characterized by it is confined only to the academic field and does not mean that it has reached the stage of being considered a science in its own right. Part of the article was devoted to detailing the emergence of the subject of cultural studies and its methods, and their development over time. Let us then delve into defining the relationship of information and communication sciences with cultural studies, and the latter's contribution to the development of media reception research since the eighties of the last century, so that the contribution of cultural studies to drawing more attention to the topics of television reception, and the inclusion of new approaches in media and communication studies that were not used in them.

Keywords: Transformations, Subject, Method, Cultural Studies, information and communication **sciences.**

- مقدمة:

رغم أن مجال الإعلام و الاتصال أصبح علما قائما بذاته، لكن ارتباطه الوثيق بعدة مجالات علمية ومعرفية جعلت العديد من الباحثين يطلقون عليه مصطلح (علوم الإعلام و الاتصال) دلالة على استمرارية علاقة الترابط بينه و بين بقية العلوم خصوصا الاجتماعية و الإنسانية منها، و لأن هذه العلوم -أقصد الاجتماعية و الإنسانية- مازالت تخدم بعضها البعض إلى حد الآن أدى ذلك إلى تقاطع اهتماماتها الموضوعاتية و ربما اعتمادها على نفس المناهج و تشاركها في بعض الأطر النظرية حتى أصبح من غير الممكن أن نتصور استغناء إحداها عن المجالات العلمية الأخرى.

و قد عرفت البحوث الإعلامية و الاتصالية تطورا لافتا في الاهتمام منذ ظهورها إلى حد الآن بدءا ببحوث التأثير و وصولا إلى بحوث التلقي التي تعتبر آخر ما بلغته دراسات الجمهور من تطور، و بحوث التلقي التي أصبحت ضمن محور الاهتمام لدى الباحثين في مجال الإعلام و الاتصال تعتبر محصلة لتراكم مجموعة من الأبحاث والدراسات كأسس نظرية لها، و لعل أهمها الدراسات الثقافية التي -رغم صعوبة تقبلها في المؤسسات الأكاديمية- قد فرضت نفسها كجزء هام في عدة تخصصات من بينها تخصص الإعلام و الاتصال.

فالدراسات الثقافية و إن كانت قد حظيت بامتياز التخصصية خصوصا في العديد من الجامعات الغربية إلا أن فصل مساهماتها عن باقي التخصصات قد يفقدها الكثير من قيمتها، و بحكم انتمائنا إلى تخصص الإعلام والاتصال سنتطرق إلى مساهمات الدراسات الثقافية فيه من حيث الموضوع و المنهج بعد أن نستعرض الجزء الأهم من تاريخها و إشكالية علاقتها التخصصية من خلال موضوعها و منهجها.

1. نشأة الدراسات الثقافية

بدأت الدراسات الثقافية في التشكل منذ ستينيات القرن الماضي حينما أسس ريتشارد هوغارت Richard Hoggart مركز برمنغهام Birmingham للدراسات الثقافية المعاصرة (CCCS)* سنة 1964، و ترأسه ستيوارت هول Stuart Hall فيما بعد من 1969 إلى 1979، حيث تركز الاهتمام فيها على دراسة الكثير من الخطابات و الممارسات الثقافية باعتبارها ظواهر نصية يتعذر فهمها من دون وضعها في سياق الثقافة و بوصفها مفهوما مركبا يشمل المعرفة والمعتقدات و الفن و الأخلاق و القانون و القدرات، و جميع العادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع، وإذا كان ظهور الدراسات الثقافية بوصفها إشكالية مميزة قد اقترن رسميا بمرحلة الستينيات، فإن سؤالها سبق و أن تم طرحه قبل هذه الفترة مثلما ذكر هول في دراسته «Cultural Studies: Two Paradigms». (الخضراوي، السرد موضوعا للدراسات الثافية، 2014).

و بما أن الدراسات الثقافية انطقلت من بريطانيا، فقد نشر المركز (الذي تحول فيما بعد إلى كلية من كليات جامعة برمنغهام البريطانية) عددا من الكتب و النشريات التي تركز على ثقافة طبقة العمّال البريطانية وطرق مقاومة هذه الطبقة للنظام الاجتماعي السائد من خلال الثقافات الفرعية للشباب البريطاني بعد الحرب العالمية الثانية، و توجه الطبقة العاملة البريطانية للتعليم و إنشاء صحفها الشعبية الخاصّة، فقد أسهم ريتشارد هوغارت من خلال كتابه الذي نشره سنة 1957 بعنوان استعمالات الكتابة: جوانب من حياة الطبقة العاملة (Uses of Literacy: Aspects of Working-Class Life) في تحديد اتجاه الدراسات الثقافية في تلك الفترة، إضافة إلى ريموند وليامز Raymond Williams من خلال كتابه الثقافة والمجتمع (Society and Culture) والمؤرّخ بـ. تومسون P. Thompson اللذان انشغلا طوال حياتهما بالتشديد على وجود أشكال خفيّة من مقاومة الثقافة السائدة في أنماط التعبير الشعبية. (حواس، 2016).

و قد انقسمت الدراسات الثقافية حسب المصادر التي تأثرت بها إلى شكلين، الأول يؤمن بوجود إمكانية لمقاومة الهيمنة، و الثاني لا يرى إمكانية لأي نوع من المقاومة والخروج من قبضة الهيمنة. و لذلك يمكن القول عن الدراسات الثقافية بأنها:

- تعمل ضمن مفهوم ممتد و واسع للثقافة، وهي ترفض ثنائية الثقافة الرفيعة/الثقافة الوضيعة كما ترفض أي نوع من الهرمية الثقافية، فكل ما يعبر به الناس عن حياتهم يستحق الاهتمام والدراسة.

- تعنى الدراسات الثقافية بمظاهر الثقافة الشعبية جميعها، و تنظر إليها بصفتها تعبيرا مشروعا ذا مكانة تستحق الاهتمام، و تعد هذه الثقافة تعبيرا سياسيا مشروعا لا مجرد ظاهرة غريبة لافتة للانتباه.

- تصور الدراسات الثقافية الثقافة بصفتها متحولة و بصفتها نظاماً مفتوحا، كما تصورها في ديناميكيتها وتحولها وتجددها الدائم، فالثقافة ليست مجرد آثار أو رموز جامدة بل هي في عملية تحول دائمة.

- تغزو الدراسات الثقافية جميع مظاهر الحياة لتقوم بفحصها و تحليلها.

- الدراسات الثقافية ذات طبيعة عابرة للاختصاصات، فهي تشجع استعارة جميع أشكال الدراسة، كما تستقبل الأدوات المنهجية من كل حدب وصوب.

- ترفض الدراسات الثقافية القيم المطلقة و تشجع النظر النسبي إلى موضوعات دراستها. (فخري، 2002)

و قد أشار نيكولاس غارنهام Nicholas Garnham إلى تطورين أساسين مرت بهما الدراسات الثقافية منذ

* هي اختصار لـ Centre for Contemporary Cultural Studies.

ظهورها، الأول هو مسألة إيديولوجية معقدة جدا تتعلق بالتطورات الحاصلة في مادة تحليل دلالة تفاعلية النصوص، والثاني أن مفاهيم الهيمنة و التبعية لم تعد تشير إلى فئة كالعرق و الجنس، حيث قال:

Deux développements principaux ont eu cours dans l'histoire des cultural studies. Premièrement, la question de l'idéologie a été largement complexifiée par les développements en matière d'analyse de la textualité, laquelle a remis en cause les concepts de vérité et de fausseté, d'intentionnalité et d'interprétation. Elle a sans cesse posé le problème, difficile mais inévitable, de la relation entre représentations symboliques et action sociale. Deuxièmement, et c'est un point crucial, les concepts de domination et de subordination ont cessé de ne se référer qu'à la classe pour aborder également la race et le genre. (Garnham, 2015, p. 51)

فمن خلال ما سبق ذكره، اتضح لنا أن الدراسات الثقافية حديثة النشأة من حيث الاعتراف بها في المعرفة العلمية، لكن لبناتها الأولى كانت أقدم و ما هي إلا نتيجة تراكم معرفي كغيرها من العلوم التي ظهرت و تطورت بمرور القرون و العقود، فالدراسات الثقافية "قامت بالكشف عن مفهوم الهيمنة و مواجهتها، و إبراز مختلف أشكالها التي تمارسها السياسات المتحكمة خصوصا بعد التحولات السياسية و الاقتصادية التي عرفتها مرحلة الثمانينيات من القرن الماضي، و ذلك خلال ظهور الليبرالية الجديدة في بريطانيا و المحافظين الجدد في أمريكا، فتم الهجوم على الدراسات الثقافية من طرف القوى السياسية و الأكاديمية نظراً للعلاقة الوطيدة التي تربط عدد كبير من الباحثين في الدراسات الثقافية بالنظرية الماركسية و اليسار السياسي، و بالتالي ظهرت الدراسات الثقافية لتنصف الثقافة التي ينتجها الإنسان والمجموعة البشرية، و بخاصة تلك المجموعة التي تم تهميشها والسيطرة عليها و تبخيس ثقافتها وقمع إنتاجاتها المختلفة من أجل استمرار الهيمنة السياسية والاقتصادية والاجتماعية." (بوحسن، 2013)

2. الدراسات الثقافية في المدرستين الأنجلوساكسونية و الفرانكفونية

رغم أن الدراسات الثقافية كانت بريطانية النشأة إلا أنها سرعان ما انتشرت في مختلف دول العالم بدخولها للمؤسسات الجامعية، و بمرور الزمن تشكلت فيها مدارس تباينت توجهاتها و إن كان اهتمامها الأساسي واحد، حيث برزت المدرسة الأنجلوساكسونية للدراسات الثقافية و تضم مدرستين فرعيتين، البريطانية التي تعتبر المدرسة الأم والأمريكية التي برزت بعدها، كما برزت المدرسة الفرانكفونية التي تعتبر مساهماتها قليلة في الدراسات الثقافية نظرا لظهورها المتأخر و قلة البحوث و الدراسات النوعية التي أصدرتها مقارنة بنظريتها الأنجلوساكسونية.

و خلافا للمدرسة البريطانية التي تحدثنا عنها باعتبارها البداية الأولى للدراسات الثقافية، ركزت النسخة الأمريكية للدراسات الثقافية في البداية على فهم الجانب الموضوعي للثقافة الجماهيرية، ومع مرور الوقت تلاشى التمييز بين الثقافتين الأمريكية والبريطانية، فقد قام بعض الباحثين الذين ينتمون لمجال الدراسات الثقافية البريطانية بتطبيق النموذج الماركسي بعد تأثرهم بمدرسة فرانكفورت، و لكن كان النصيب الأكبر للاتجاه الماركسي الخاص بـ لويس آلثوسر Louis Althusser وغيره، حيث سلط النهج الماركسي الضوء على الهدف من وراء الإنتاج الذي يفترض كنموذج «الإنتاج الشامل للثقافة»، حيث تتحدد معايير نجاح هذا الإنتاج بما تنتجه يد الإنسان من تراث ثقافي، إذ من وجهة النظر الماركسية يتحكم من يسيطرون على وسائل الإنتاج بمعايير الثقافة كجانب بارز لسيطرة الفكر الاقتصادي. (الموسوي، 2013)، و ما تم ذكره في نفس السياق حول الدراسات الثقافية الأنجلوساكسونية:

Effectivement, les travaux des spécialistes récents des cultural studies, principalement

dans les pays anglo-saxons, ont offert de précieuses ouvertures vers les notions de marges, de minorités, de résistances et d'adaptations interculturelles–dans le droit fil des convictions des Pères fondateurs des cultural studies, Raymond Williams, Richard Hoggart et Stuart Hall. (CS: Introduction, p. 1)

أما بالنسبة لعلاقة الدراسات الثقافية بالمدرسة الفرانكفونية، فيعتبر كتاب (Introduction aux Cultural Studies) الذي صدر سنة 2008 لـ أرمون ماتلار Armand Mattelart و إريك نوفو Érik Neveu ذو أهمية كبيرة في حقل الجهود النظرية حول الدراسات الثقافية، لأنه يلقي ضوءا كثيفا على الأسئلة الأساسية التي تتعلق بتلقي الدراسات الثقافية في الحقل الثقافي الفرنسي، و بحكم قدرته على تقديم تركيب محكم في تناول القضايا التي يعنى بها هذا التيار الفكري الذي تبرز أهميته بالنسبة للتفكير في الثقافة بشكل مختلف في المجال الثقافي، و رغم أن الدراسات الثقافية تطورت منذ الثمانينيات بالولايات المتحدة الأمريكية من خلال عملية استقبال متعددة المستويات للنظرية الفرنسية (French theory) و كذلك للاهتمام الواسع بالآداب الهامشية أو الموازية و الذي أسهم بشكل كبير في تطور الدراسات الأدبية التي لم يعد مجالها يقتصر فقط على تناول النصوص و الأعمال المكرّسة التي تدرس لعدد قليل من الطلاب كل عام في فصول تكاد تكون شبه فارغة، فإن فرنسا لم تعرف الاهتمام بهذا التيار الفكري إلا في مطلع القرن العشرين كما يشير إلى ذلك كتاب (French theory) لـ فرانسوا كوسي، الشيء الذي يطرح - من وجهة نظر كثير من الباحثين - سؤالا عميقا عن خلفيات هذه اللامبالاة رغم الآفاق العلمية التي يمكن للدراسات الثقافية فتحها فيما يتعلق بجوانب شديدة الصلة بالثقافة الفرنسية كالوسط الاجتماعي و النوع و الهوية و العرق. (الخضراوي، مدخل إلى الدراسات الثقافية، 2015)

و قد تم تأكيد هذه النقطة المتعلقة بمقاومة الدراسات الثقافية و عدم الاهتمام بها في فرنسا و دول أخرى:

Nos discussions révélèrent cependant que les cultural studies se heurtaient, en France surtout, mais également ailleurs, à des résistances théoriques, mais également professionnelles, qu'il fallait examiner. (Barr, 2000, p. 2)

3. إشكالية علاقة الدراسات الثقافية مع التخصصية

منذ أن ظهرت الدراسات الثقافية حاولت أن تجد موقعا لها بين بقية التخصصات الأكاديمية في شتى أنحاء العالم بدخولها إلى الجامعات و مختلف الهيئات الأكاديمية، لكن احتاج ذلك لجهود كبيرة حتى استطاعت أن تحظى باعتراف تخصصها في العديد من الجامعات حول العالم بعيدا عن جانب التفكير في استقلاليتها كعلم، لأن "الدراسات الثقافية تتميز بوصفها ملتقى كثير من العلوم و التخصصات، أهمها علم الاجتماع و الأنثروبولوجيا الثقافية و الفلسفة و الإثنولوجيا و السيميائيات و الأدب و الفنون، و قد يوحي هذا التداخل بعلوم و اختصاصات مختلفة بأن الدراسات الثقافية تحيط إحاطة شاملة بمختلف طرق دراسة الثقافة و التفكير في الأسئلة التي تطرحها، غير أن ما يفضي إليه الاطلاع على متنها هو أن ميدان الدراسات الثقافية يتعلق بمجال محدد من مجالات البحث الأكاديمي." (الخضراوي، السرد موضوعا للدراسات الثافية، 2014، صفحة 109)

أي أن الدراسات الثقافية ترتبط عادة بمجال من المجالات العلمية التي تكون مساهمة في تطوير أطرها النظرية و المنهجية، و ما جعلها تتميز بهذه القدرة على الاندماج مع باقي التخصصات هو "تجاوزها - من حيث التوجيه البيداغوجي - المنطق التقليدي الذي يقسم الشُعب الأكاديمية إلى شعبة للآداب و أخرى للفلسفة و أخرى للدراسات اللغوية اللسانية أو للتحليل النفسي أو لعلم الاجتماع ... إلخ، فجراء هذا التجاوز للمنطق الأكاديمي

القديم و الصارم أصبح حقل الدراسات الثقافية يتميز بيداغوجيا و منهجيا بأنه تركيبي من حيث الأساس النظري، فهو يوظف نظريات الأدب، والفلسفة، و التحليل النفسي، و اللسانيات و نظرية المعرفة و علم الاجتماع و غيرها من الحقول النظرية المتنوعة.

إن الدراسات الثقافية تعتمد هذا التشعب النظري المتعدد كمفاتيح لفتح أسرار الوعي واللاوعي الثقافيين والهدف من وراء هذا هو فهم «كيف تتشكل الثقافة تاريخيا» و «كيف ينتج المعنى و كيف يستخدم كسلطة» في المجتمعات المختلفة. أما استراتيجياتها فهي رد (ثقافي و تعليمي له أبعاد سياسية) على المنظومة التعليمية التقليدية الغربية ببعدها الرأسمالي." (أزراج، 2014)

و تجدر الإشارة إلى أن للدراسات الثقافية ميزتين، "الميزة الأولى هي أنها دراسة ملتزمة للثقافة بالحساسية نحو السبل التي تصبح فيها الثقافة جزئيا ميدان علاقات قوة يتضمن مراكز، هوامش، هرميات، و ارتباطات بمعايير تفرض كوابح و تهميشات، إضافة إلى الالتزام بالاحتفاء في الأشكال الثقافية أو نقدها فيما يتعلق بالحقل الاجتماعي الذي ينتجها ، أما الميزة الثانية هي أنها ذاتية التأمل، و تتفحص نفسها نقديا باستمرار" (ديورنغ، 2015، الصفحات 28-29). و هذا ما يعني أن الدراسات الثقافية من خلال التفحص و النقد المستمر لذاتها ستجعل من تخصصها مجالا معرفيا يصعب تحديد معالمه، و معرفه حدود بدايته و نهايته.

و لهذا في سياق الاستفسار عن مدى تخصصية الدراسات الثقافية "كان الإجماع بين الذين جاءوا إلى هذا المجال باكرا يفيد بأنه ينبغي عليها أن تبقى خارج قيود التخصصية، فمن وجهة النظر هذه، تقيد التخصصية تنوع الموضوعات و الاهتمامات و المواقف الأطر و المناهج التي يمكن لمجال الدراسات الثقافية استيعابها، لكن ليس هناك رد واضح على هذا الجدال، و يعود ذلك إلى أن منزلة التخصصية و وظيفتها في العلوم الإنسانية في حالة تغيير، فالتخصصات الأكاديمية في العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية لم تكن قط صيغا أحادية، بل هي تدمج مناهج وموضوعات بحث و اهتمامات مهنية متعددة، و هناك معنى مهم تصبح فيه كل التخصصات متداخلة، فما إن تترسخ التخصصات حتى تجبر على تأكيد التميز و الاستقلال، و مع ذلك تبقى مرتبطة بعضها ببعض على الأقل في بضعة اهتمامات و مناهج مشتركة." (ديورنغ، 2015، صفحة 30)

إذا فتخصصية الدراسات الثقافية التي يتم الحديث عنها ينبغي أن تكون ضمن إطار إدراجها في الجامعات كتخصص أكاديمي و هو محقق في الواقع، أما الحديث عن استقلاليتها كتخصص علمي بمعاينة تحقيقها للشروط التي تجعلها كعلم منفرد و مستقل بذاته فيمكن تجاوزه لأنها -بما هي عليه الآن- قد ساهمت بالكثير في التراكم المعرفي الذي يؤدي إلى تطور العديد من العلوم، و مع ذلك "رغم النجاح و الانتشار الباهر الذي عرفته الدراسات الثقافية عبر العالم من خلال كثرة المجلات و الكتب و الموسوعات المخصصة لها و العدد المتزايد من شعبها التي يجري استحداثها في كثير من الدول، فإن بعض الباحثين قدموا مؤشرات على أنها ستعرف نوعا من التراجع مستقبلا، و بغض النظر عن المصير المستقبلي للدراسات الثقافية يبقى لهذه المقاربة الفضل في التغلب على آثار الانغلاق التي تولدها المبالغة في تمجيد نزعة التخصص." (الخضراوي، مدخل إلى الدراسات الثقافية، 2015)

4. بروز موضوع الدراسات الثقافية و منهجها ثم تطورهما

من المعروف أن لكل مجال معرفي موضوع أو مجموعة من المواضيع التي تشكل محور الاهتمام أثناء البحث في إطاره، و بالنسبة لموضوع الدراسات الثقافية فقد "تبنت مفهوما واسعا للثقافة و هو أقرب إلى مفهوم الثقافة في الأنثروبولوجيا الذي يعني «أشكال الحياة و التعبيرات الاجتماعية المختلفة»، و قد أدى تبني هذا التعريف الواسع للثقافة إلى إدخال عدد هائل من الحقول و الممارسات إلى دائرة البحث و التقصي الذي تقوم به الدراسات

الثقافية" (فخري، 2002)، أي أن الدراسات الثقافية تعنى بكل ما يرتبط مع الحياة اليومية الاجتماعية للأفراد في مجتمعاتهم كصيغ متباينة يمكن البحث عن تأثيراتها و أهميتها لدى شريحة معينة، "و قد أصبحت هذه الصيغ الثقافية -من هذا القبيل- ذات أهمية قصوى بالنسبة إلى هذا التخصص متحركة على نحو متزايد في كل مكان. إن القول عن هذه الصيغ إنها تميل نحو الحركة عبر المسافات و الحدود هو صحيح بالمعنى الحرفي، لكنه صحيح أيضا من حيث إن علاقاتها مع ظروفها الاجتماعية و المادية (الاقتصاد و السياسة و التربية، و التكنولوجيا و هلم جرا) تتغير بسرعة كبيرة و بشكل شامل، و إن كان ذلك يتم بسرعات مختلفة و بطرق مختلفة في أماكن مختلفة. و هو صحيح أيضا بمعنى أن القطاعات و الأجناس ضمن الثقافات تتفاعل بعضها مع بعض ديناميكيا. فالثقافة ليست شيئا أو حتى نظاما: إنها جملة من الصفقات و العمليات و التحولات و الممارسات و التكنولوجيات و المؤسسات التي تنتج أشياء و أحداثا (مثل الأفلام و القصائد أو مباريات المصارعة العالمية) يجري اكتشافها و معايشتها و إعطاءها معنى و قيمة بطرق مختلفة ضمن شبكة الاختلافات." (ديورنغ، 2015، صفحة 23)

كما تتمثل فكرة الدراسات الثقافية في فرضيتين اثنتين، أولها مرتبطة ببنية و طبيعة المجتمع الرأسمالي الصناعي، و ثانيها تتعلق باستقلالية بعض الأشكال الثقافية، و الدور الذي تلعبه في التغير الاجتماعي، فهذه الأخيرة تنظر إلى مسار الاتصال عموما و الاتصال الجماهيري خصوصا كخاصية فقط من خصائص الممارسات اليومية، أي إنها لا تنظر إليها لذاتها و إنما كجزء فقط مما هو أشمل و أوسع و هو المجتمع. (لعبان، 2014، صفحة 61).

فمن هذا المنطلق قام ستيوارت هول Stuart Hall في إطار موضوع الدراسات النقدية بنقد مسألة هيمنة الطبقة المسيطرة في المجتمع على وسائل الإعلام و الترويج لمصالحها من خلال هذه الوسائل، و قد تلخصت مقاربة هول في الفكرتين التاليتين:

- تنتج وسائل الإعلام رسائل غير متوازنة و ضعيفة المصداقية بحكم انحيازها إلى الجماعات المهيمنة.

- توظف وسائل الإعلام الرموز و المعاني التي تخدم أفكار و مصالح الجماعات المهيمنة و يتم إنتاجها بطريقة تضمن التأثير على الجمهور.

و هذا يعني بأن وسائل الإعلام تعمل من خلال المحتوى الذي تقدمه على دعم القوى السياسية و الاقتصادية في المجتمع، و خطورة الهيمنة تكمن في التأثير السلبي على الرأي العام. (نزوى، 2013)

و لهذا السبب يرى تيار الدراسات الثقافية النقدية أن وسائل الإعلام صناعة خاصة في الدول الرأسمالية كباقي المنتجات المادية التي يقدمها السوق ويخضعها لقوانينه، و عليه فإنها لا تعكس ذاتية المهني في مجال الإعلام بل مصالح الطبقة الرأسمالية التي عوض أن تخفف من حدة التناقضات الاجتماعية فإنها تزيدها حدة. (قسايسية، 2010)

أما من حيث المنهج الذي تعتمده الدراسات الثقافية في البحث ضمن موضوعاتها، حالما يتعامل مع الثقافة عالميا يصبح المنهج مشكلة حقيقية بالنسبة إلى الدراسة الأكاديمية للثقافة. "ما نوع التصورات و الممارسات التي يتعين علينا استقدامها إلى مادتنا؟ المقابلات؟ التحليل الإحصائي؟ التصوير الفلسفي؟ النقد السياسي؟ قراءة متأنية «للنصوص» (التي قد تتضمن الأغاني و العروض التلفازية و كذلك الروايات)؟ بالفعل، يصعب قول المزيد عن منهج الدراسات الثقافية سوى أنه بشكل عام، تخصص نظري و تجريبي معا، و هو في أفضل حال له، كلاهما في آن، و لا يجوز تنظيمه حول منهج." (ديورنغ، 2015، صفحة 25)

و قد تحدث نيك كولدري Nick Couldry ضمن كتابه داخل الثقافة (Inside Culture) عن المنهج في الدراسات الثقافية قائلا "هي ذات منهج ثلاثي، فهو مادي و تأملي (أي إنه يتفحص باستمرار تطوره الخاص و عملياته)،

و هو غير وضعي (أي لا يؤمن بأنه يمكن تعليل الثقافة بالحقائق الموضوعية)؛ و هو انتقائي من الناحية النظرية بمعنى ما، إن ذلك يفضح المستور نظرا إلى أنه لا يفصح عن منهج تنفرد به الدراسات الثقافية؛ فالادعاء أن الدراسات الثقافية تعتمد على منهج إنما يعبر عن توجه معين ضمنها." (ديورنغ، 2015، صفحة 26)

فبما أن موضوع الدراسات الثقافية واسع و متشعب، أو كما يمكن أن نعبر عنه بـ «موضوعات الدراسات الثقافية» نظرا لتمايزها و ارتباطها مع عدة علوم أخرى، سيكون من غير المنطقي أن نتحدث عن منهج واحد تعتمده في دراسة هذه الموضوعات باختلاف توجهاتها، بل سيكون منطقيا أكثر أن نعبر عن استعانة الدراسات الثقافية بمناهج متعددة، كل منهج يعتمد عليه في دراسة موضوع يتناسب معه، حتى أن هذه الميزة ستكون أكثر تمييزا للدراسات الثقافية عن باقي العلوم الإنسانية و الاجتماعية التي تشاركها فيها ... في الميزة لكن ليس في الدرجة.

5. أبحاث التلقي كنتيجة لمساهمة الدراسات الثقافية في موضوع و مناهج الإعلام و الاتصال

إن كانت الدراسات الثقافية -كما ذكرنا سابقا- ترتبط من حيث موضوعاتها بالعديد من العلوم فإن الإعلام والاتصال يعتبر إحداها، و هذا ما يجعلنا نتساءل حول مساهمات و إضافات الدراسات الثقافية في مجال الإعلامي والاتصالي التي ساعدت على تطور موضوعه و مناهجه البحثية، و قد ركز رايموند ويليامز Raymond Williams على هذه العلاقة بقوله:

Si mon propos est empreint d'une certaine émotion, c'est parce que, jusqu'à une période assez récente, ici en Grande-Bretagne, un pays doté d'une riche tradition dans ce domaine, on a manqué un certain nombre d'occasions de reconstituer les «cultural studies», au centre desquelles, selon moi, devrait se trouver une forme de «recherche en communications». (WILLIAMS, 1996, p. 5)

تعتبر الدراسات الثقافية جزءا هاما من الإطار النظري و المنهجي الذي ظهرت و نمت فيه البحوث المتعلقة بالجمهور حيث شكلت حسب Klaus Brun Jensen & Karl Erik المرحلة الرابعة من تطور دراسات الجمهور، و قد خضع النقاش حول تطور بحوث الجمهور إلى منطق «حتمية التغيير» بمحاولة بناء التغيرات في الواقع بدل تفسيرها، إذ تراوح بين سلطة الوسيلة و سيادة الجمهور كموضوع، و بين الكمي و الكيفي كاقتراب منهجي. (لعبان، 2014، صفحة 60)

كما تتحدد إحدى مساهمات الدراسات الثقافية ضمن مجال الإعلام و الاتصال في "تركيز باحثيها على كيفية ارتباط وسائل الإعلام بإيديولوجية المجتمع، و الطبقة الاجتماعية، و الجنسية، و العرق، و الجنس ... إلخ، ويقدم تحديدات و تصنيفات لثقافة منطقة خاصة في العالم، مثل ثقافة شمال إفريقيا أو الثقافة المغاربية، أو ثقافة الشرق الأوسط ... إلخ، وللوصول إلى مثل تلك التصنيفات، أو على الأقل بعض جوانب تلك التصنيفات، لابد من الاعتماد على الدراسات النقدية النظرية و المنهجية و التحليلية المختلفة." (بوحسن، 2013)

فمن حيث الموضوع، نجد بأن ستيوارت هول Stuart Hall قد "طور نظريته كرد فعل للتحليل النقدي الكلاسيكي حول الأفلام السينمائية، الذي يعتبر أن اتجاه الأفلام يطابق توجهات النخبة المهيمنة على وسائل الاتصال الجماهيرية بهدف المحافظة و الإبقاء على الوضع كما هو عليه. لكن هول Hall في تحليله توصل إلى أنه من الخطأ القول بأن الأفلام الشعبية تعمل بالضرورة على تضليل و إفساد جمهور الطبقة العاملة. و قد اقترح مقاربة لبحوث الجمهور نطلق عليها بحوث التلقي، و أحد أفكارها الأساسية ما يلي:"

How various types of audience members make sense of specific forms of contnt ? (لعبان، 2014، صفحة 63)

أي الدراسة التي قام بها هول Hall و الأفكار التي طرحها أصبحت ركيزة أساسية لبحوث التلقي التي تدخل ضمن الإطار العام لبحوث الجمهور و التي يهتم بها أغلب الباحثين في وقتنا الحالي، حتى أنه أصبح من غير الممكن الحديث عن «التلقي» في معزل عن مساهمات الدراسات الثقافية و خصوصا البحوث التي قام بها هول Hall و غيره من رواد هذا المجال.

كجانب آخر مرتبط ببحوث الجمهور ضمن الإعلام و الاتصال، نجد بأن "للتلفاز بوصفه الوسيلة السائدة في العصر، علاقة فريدة مع الدراسات الثقافية، التي من الواضح أنها تشكلت في غضون تلاقيها مع التلفاز. إن توجه هذا التخصص نحو الشعبوية و تبخيسه الثقافة العليا؛ و تشديده على التلقي الثقافي كممارسة حياتية بدلا من التفسير أو الإنتاج، و إحساسه بالمستهلكين الثقافيين كأفراد منفصلين، كل ذلك يعزى إلى ملاصقته للتلفاز و إلى فهمه المرتكز على التلفاز لـ «وسائل الإعلام»." (ديورنغ، 2015، صفحة 179)

و لهذا السبب ركز معظم عمل الدراسات الثقافية على التلفاز، على التلقي لدى المشاهدين و هذا علامة على افتقار هذه الوسيلة إلى القيمة الثقافية، يبدو أن البرامج نفسها لا تستحق أن تؤخذ على محمل الجد بمثل تأثيرها في المشاهدين, و لهذا كان من المستحيل التركيز على قراءات متمعنة للنصوص التلفازية أو إنشاء معيارية تلفازية، و لذلك السبب بشكل جزئي خضعت دراسة التلقي لتحول مستمر تقريبا مع محاولتها أن تفهم تماما قيمة التلفاز و أثره. (ديورنغ، 2015، صفحة 186)

لقد كان نموذج «الترميز و فك الترميز» أول تدخل مؤثر -في مجال الإعلام و الاتصال عموما و التلفزيون كوسيلة إعلام على وجه الخصوص- من قبل الدراسات الثقافية في حد ذاتها، ففي مقال مهم اقترح ستيوارت هول Stuart Hall نظرية تواصل مؤلفة من أربع مراحل هي الإنتاج، التداول، الاستخدام و إعادة الإنتاج. كل مرحلة تعتبر مستقلة نسبيا عن المراحل الأخرى، و هذا يعني أن ترميز الرسالة يتحكم فعلا في تلقيها، لكن ليس على نحو شفاف، فلكل مرحلة حدودها الخاصة المميزة و إمكاناتها، ... و أثبت هول أن للرسائل «بنية سيطرة معقدة» في الوجود الاجتماعي الفعلي لأن علاقات القوة لمؤسسة الإعلام تبصمها في كل مرحلة، كما يمكن أن يجري استقبال الرسالة في مرحلة معينة فقط إذا كانت مناسبة و أمكن تمييزها على الرغم من وجود متسع لأن يجري فهم الرسالة أو استخدامها على الأقل بطريقة مخالفة للميل الفطري لدى الإنسان. لقد فك هول Hall الصلة بين معنى النص و استقباله، فبالنسبة له لقد جرى استقبال المعنى المهيمن تحت ظروف معينة فقط.

و قد وسعت الدراسات الثقافية في أواخر السبعينيات و بداية الثمانينيات الفجوة بين المعنى و التلقي من خلال قبولها إمكانية أن يقاوم المشاهدون قيم البرامج، ثم من خلال إظهار أن انسياب التلفاز لا يحتوي معنى واحدا، بل عددا من المعاني، أو أنه في الأساس لا يوصل المعنى بل يوصل الشعور بالمتعة. (ديورنغ، 2015، صفحة 188)

فالتشديد على تعدد معاني التلفاز و تنوع الطرق و الأمزجة التي جرى النظر فيها إليه أدى بالدراسات الثقافية في أواخر السبعينيات أن توجه انتباها متزايدا إلى مشاهدي التلفاز، ليس بوصفهم أعضاء جمهور مكتل، و لكن بوصفهم أفرادا مشكلين اجتماعا و ثقافيا، أي ليس بوصفهم سذجا ثقافيين ذوي قدرة محدودة على قبول معاني التلفاز أو رفضها، بل بوصفهم أناسا يعيشون بإصغاء حول جهاز التلفاز. (ديورنغ، 2015، صفحة 188)

يمكن أن نوضح ذلك أكثر من خلال ذكر الفرضية التي طرحها منظرو الدراسات الثقافية في مركز برمنغهام:

les théoriciens du Center for Contemporary Cultural Studies de Birmingham (CCCS) faisaient l'hypothèse que la «masse» n'existe pas, et que la position de classe est le facteur déterminant d'interprétation des contenus des médias de masse: si c'est bien l'idéologie des groupes sociaux dominants ayant le contrôle (politique, culturel, économique) des médias de masse qui préside à encodage sémiologique des contenus médiatiques, l'interprétation en réception de ces mêmes contenus diffère selon l'appartenance de classe des individus, allant des décodages «conformes» idéologiquement à leur encodage de la part de groupes sociaux partageant les intérêts et les «visions du monde» des groupes sociaux contrôlant les médias de masse, aux décodages «oppositionnels» de la part de groupes sociaux dominés faisant par ailleurs l'expérience de la domination et des rapports de pouvoir, en particulier dans le travail et dans leur vie quotidienne. (MACE, 2000, p. 251)

و قد ذكر إيريك ماسي Éric Macé في نفس السياق بأنه يجب الوقوف ضد التعريف النمطي و الدعائي للهيمنة الإيديولوجية الخاصة بوسائل الإعلام من خلال التركيز بشكل أساسي على التلقي كعملية تربط الأفراد بهذه الوسائل، مشيرا إلى العلاقات الاجتماعية و الثقافية التي تم الحديث عنها في إطار الهيمنة و السلطة الناتجة عن تلقي الرسائل الإعلامية و ربطها ببحوث الدراسات الثقافية البريطانية التي أجراها هول Hall في أواخر السبعينيات.

Or c'est contre cette définition mécaniste et propagandiste de la domination idéologique des médias de masse que la sociologie des médias s'est constituée en mettant l'accent pour l'essentiel sur la «réception» des médias par les individus, en montrant de mille manières que cette «masse» de spectateurs mystifiés n'existe pas En rupture avec la thèse de la mystification, la tentative la plus achevée d'articulation de la question des rapports sociaux et culturels de domination et de pouvoir avec celle de la réception des messages médiatiques est sans doute celle des Cultural studies britaniques animées par Stuart Hall à la fin des années 1970. (MACE, 2000, p. 250)

عندما نبحث تاريخيا عن تطورات الجانب المنهجي، سنجد بأن البحوث الإعلامية و الاتصالية كانت تعتمد بشكل كبير على المناهج الكمية لأسباب عديدة لعل أهمها هو الحاجة الضرورية لمعرفة شاملة بإحصائيات متنوعة تساهم في تشكيل نظريات الاتصال و تساعد على إرساءها كعدد مؤسسات الإعلام و نوعها و مضمون منتجاتها و الوسائل التي تسخرها و الجمهور الذي يتابعها، أي بمعنى آخر فهم كليات المجتمع الإنساني التي لها علاقة بالتخصص، و بعد ظهور الدراسات الثقافية بما تتميز به من تعدد المناهج ثم ارتباطها بمجال الإعلام و الاتصال أحدث ذلك ثورة في المناهج التي يستعملها.

ارتبطت مرحلة الثمانينيات من القرن الماضي ضمن تاريخ الدراسات الثقافية بتصور «عودة الإثنوغرافيا» كوسيلة منهجية أكثر ملائمة للبحث في الإشكاليات المتميزة بعد الاستقرار، إضافة إلى بعض طرق التحقيق لدراسة ما تتميز به وسائل الإعلام خصوصا التلفزيون و ما يبثه من برامج.

Les années quatre-vingt sont associées dans l›histoire des Cultural studies à l›image du «tournant ethnographique». L›expression désigne de façon commode un déplacement des problématiques, plus encore des protocoles d›enquête vers une étude des modalités différentielles de réception des médias, en particulier en matière de programmes télévisés. (Mattelart & Neveu, 1996, p. 31)

فالنظر إلى مدى تلاؤم و تناسب المناهج النظرية و التحليلية في عالم غير مستقر يتسم دائما بالتغير و التطور هي مشكلة متجددة تحتاج للبحث الدائم و المتواصل (LAGE & DEBRUYNE, 2015, p. 117)، و لذلك قام دافيد مورلي David Morley في أبحاثه بالاعتماد على المنهج الإثنوغرافي كمنهج لم يكن معروفا باستخدامه في البحوث الإعلامية والاتصالية، بعد أن رأى بأنه المنهج الأنسب لدراسة الإشكالية التي أراد التوصل إلى فهم حيثياتها و التوصل لنتائجها.

ففي منتصف الثمانينيات اهتم دافيد مورلي David Morley بالاستعمالات الأسرية للتلفزيون من خلال الدراسة التي قام بها سنة 1986، حيث تنطلق من فكرة أن الجمهور نشط و فعال في تعرضه للبرامج التلفزيونية، حيث انتقل دافيد مورلي David Morley من دراسة محتوى الرسائل إلى دراسة المشاهدين كمستقبلين لهذا المحتوى، و ذلك بتوضيح سيرورة عملية المشاهدة في سياق الأسري (بوغازي، 2009)، لنستعرض محوري الدراسة:

l'ensemble des travaux de Morley dans le courant britannique des Cultural Studies, pour ensuite en mesurer la portée dans le champ spécifique des études sur la réception. Nous proposons d›étudier les contributions de Morley au débat sur la réception autour de deux axes principaux:

1) l'introduction de la notion de contexte domestique dans la théorisation de la réception,

2) l'orientation méthodologique de ses recherches qui empruntent les méthodes ethnographiques à l'anthropologie. (Millerand, 1997, p. 2)

فقد استعمل في الدراسة المنهج الإثنوغرافي لمعرفة التفاعلات بين مختلف أفراد العائلة أمام الشاشة لاستقبال الرسائل التلفزيونية باعتباره الفضاء المنزلي.شملت الدراسة 18 عائلة بريطانية متكونة من شخصين راشدين و طفلين على الأقل، تنتمي هذه العائلات إلى الطبقة العاملة في المستوى الاجتماعي و الثقافي، وكان هدف دافيد مورلي David Morley هو اكتشاف الاختلافات بين العائلات لحظة تعرضهم لمشاهدة التلفزيون، أي تأثير عامل الجنس و المستوى التعليمي و الاتجاه الأيديولوجي على امتلاك قرار اختيار البرامج لحظة مشاهدة العائلة للتلفزيون. فحسب رأيه تعتبر المشاهدة التلفزيونية عملية يومية معقدة، تمارس عائليا في الفضاء الأسري. و تجدر الإشارة إلى أن أبحاث دافيد مورلي David Morley قد قدمت الكثير للمناقشات المتعلقة بمسألة التلقي أو المشاهدة التي برزت كظاهرة رئيسية و هامة ارتبطت بالأبحاث الخاصة بالتلفزيون خلال الثمانينات، و أهم ما ميز هذه الأبحاث أنها تعرضت لتدخل العوامل الاجتماعية و العلاقات الشخصية أثناء مشاهدة التلفزيون.

و قد ذكرت Florence Millerand سبب استعمال مورلي Morley للمنهج الإثنوغرافي فتقول:

Les choix méthodologiques de Morley s'inscrivent dans un ensemble de recherches sur la réception caractérisées par une orientation ethnométhodologique : ethnographies des auditoires, enquêtes sur les processus interprétatifs mis en jeu par les récepteurs. Les démarches

de recherche s'appuient sur différentes unités d'analyse : l'individu (en tant que sujet social ou subjectivité individuelle), le groupe et les rapports intersubjectifs dans l'expérience de la vie au quotidien. (Millerand, 1997, p. 9)

و بالتالي لقد أحدث هذه الاتجاه الجديد من أبحاث التلقي قطيعة مع أنموذج التأثير الذي كان سائدا في الأربعينات خصوصا من حيث المنهج، و قام بتغير الاتجاهات الإبستمولوجية للأبحاث المتعلقة بوسائل الإعلام بصفة عامة والتلفزيون بصفة خاصة. فهدف الدراسة أصبح لحظة التعرض لهذه الوسيلة التي يجب أن تحلل كعملية قائمة اجتماعيا وثقافيا وكمرحلة لتشكيل المعنى من طرف المشاهدة، وهو ما تم الاستعانة فيه بالمنهج الإثنوغرافي الذي يعتبر الأكثر ملائمة مع تعقد ظاهرة التلقي في الفضاء الأسري.

الخاتمة:

كخلاصة لهذا المقال، نستنتج بأن الدراسات الثقافية قد ساهمت في تطور دراسات الجمهور و بالأخص بحوث التلقي، فانطلاقا من الدراسات الثقافية كأساس نظري، يرى بعض الباحثين أن بحوث التلقي دخلت مرحلة ثالثة في مسار تطورها، فإذا كانت المرحلة الأولى قد طغت عليها أعمال هول، و نموذج ترميز و فك ترميز الخطاب، فإن المرحلة الثانية عرفت تجاوز هذا النموذج من خلال بحوث مورلي و مقاربته التي أطلق عليها تسمية «إثنوغرافية وسائل الإعلام»، لتأتي بعدها مرحلة، يمكن أن نعتبرها مرحلة إعادة تفعيل المفاهيم النقدية الكلاسيكية.

و بحوث التلقي تتعلق أساسا بالدراسات التي تهتم بالمستقبل، و مازال التخصص يتضمن الدراسات المرتبطة بالمرسل، الرسالة، الوسيلة و حتى التأثير، مما يعني أن الدراسات الثقافية قد ارتبطت بالجزء الأهم من العملية الاتصالية، و هذا الجزء (نقصد به المستقبل) لا يمكن أن تجرى بحوثه بمعزل عن بقية عناصر العملية الاتصالي الأخرى، و هو ما يجعلنا نقول بأن الدراسات الثقافية يمكن أن تقدم مساهمات أكثر مما قدمته لحد الآن في باقي التوجهات البحثية.

المصادر والمراجع:

1. أحمد بوحسن. (2013). الدراسات الثقافية والنقد المغربي المعاصر. تاريخ الاسترداد 14 03, 2019، من موقع رباط الكتب: http://ribatalkoutoub.com/?p=966.
2. إدريس الخضراوي. (2014). السرد موضوعا للدراسات الثافية. مجلة تبين للدراسات الفكرية و الثقافية (07)، الصفحات 109-110.
3. إدريس الخضراوي. (2015). مدخل إلى الدراسات الثقافية. تاريخ الاسترداد 17 03, 2019، من موقع مغرس: http://www.maghress.com/alittihad/1214882.
4. رحاب حبيب صاحب الموسوي. (2013). الدراسات الثقافية. تاريخ الاسترداد 17 03, 2019، من موقع جامعة بابل: http://www.uobabylon.edu.iq/uobColeges/service_showrest.aspx?fid=8&pubid=5197.
5. سايمون ديورنغ. (2015). الدراسات الثقافية: مقدمة نقدية. (ممدوح يوسف عمران، المترجمون) الكويت: المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب.
6. صالح فخري. (2002). معنى الدراسات الثقافية. تاريخ الاسترداد 13 03, 2019، من موقع صحيفة الحياة: http://daharchives.alhayat.com/issue_archive/Hayat.html.

7. عزيز لعبان. (2014). إشكاليات التلقي في زمن التكنولوجيات الحديثة للاتصال: رهانات الفهم و بناء المعاني. وسائط الاتصال بين الإرسال و التلقي (الصفحات 59-72). الجزائر: مخبر استخدامات و تلقي المنتجات الإعلامية و الثقافية في الجزائر.

8. علي قسايسية. (2010). الصناعات الثقافية: من غوتنبرغ إلى بيل غايت. تاريخ الاسترداد 14 03, 2019، من موقع علي قسايسية: http://alikspace.weebly.com/157516041589.html.

9. عمر أزراج. (2014). المفكر ستيوارت هول و تفكيك المركزية الغربية. تاريخ الاسترداد 17 03, 2019، من موقع العرب: http://www.alarab.co.uk/m/?id=21206.

10. فتيحة بوغازي. (2009). الجمهور و السلوك الاتصالي. تاريخ الاسترداد 25 03, 2019، من مدونة دراسات الجمهور: http://audience-studies.over-blog.com/page-1822732.html.

11. محمود حواس. (2016). الدراسات الثقافية خلال العقدين الأخيرين. تاريخ الاسترداد 14 03, 2019، من موقع تحولات:http://www.tahawolat.net/ArticleDetails.aspx?Id=8979&ArticleCategory=0.

12. نزوى. (2013). مقاربات علم الاجتماع الوظيفي والنقدي لوسائل الإعلام. تاريخ الاسترداد 17 03, 2019، من موقع مجلة نزوى: http://www.nizwa.com/%D9%85%D8%82.

13. Barr, M. S. (2000). Literature-Project MUSE. Consulté le 03 23, 2016, sur Project MUSE: https://muse.jhu.edu/books/97815872927122-9781587292712/.pdf.

14. Garnham, N. (2015). Cultural studies et économie politique. (M. Céline, Éd.) Réseaux (192), pp. 4865-.

15. LAGE, É. D., & DEBRUYNE, F. (2015). LES REFRAINS DE LA MONDIALISATION. Réseaux (192), pp. 117142-.

16. MACE, E. (2000). QU›EST-CE QU›UNE SOCIOLOGIE DE LA TELEVISION ? Réseaux (104), pp. 247288-.

17. Mattelart, A., & Neveu, E. (1996). Cultural studies› stories. La domestication d›une pensée. Réseaux (80), pp. 1158-.

18. Millerand, F. (1997). David Morley: et la problématique de la réception. Consulté le 03 24, 2019, sur Site Web commposite: http://www.commposite.org/index.php/revue/article/download/87/.

19. WILLIAMS, R. (1996). DES COMMUNICATIONS COMME SCIENCE DE LA CULTURE. Réseaux (80).